الفصل الثالث

شبهات أهل الكتاب حول عدم عموم البعثة المحمدية والرد عليها

تمهيد:

بعد أن استعرضنا فى المباحث السابقة، إثبات نبوة محمد ﷺ ثم إثبات عموم رسالته، مستدلين بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وبعد بيان الحاجة والضرورة لعموم البعثة والخصائص التى خص الله بها دين الإسلام، ليتناسب مع كل زمان ومكان نعرض هنا شبهات بعض أهل الكتاب ومجادلتهم لعلماء الإسلام فى عدم عموم بعثة النبى ﷺ.

وبالرغم من النصوص التى قدمناها إلا أننا رأينا فريقًا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى يزعمون أن دعوة محمد ﷺ كانت خاصة بالعرب دون أهل الكتاب وينبغى أن نقرر أنه ليس كل اليهود والنصارى يقولون هذا فإن اليهود والنصارى الغالب الأعم منهم ينكرون أصل بعثة النبى ﷺ والبعض منهم يقرون بنبوة محمد ﷺ ولكن يقصرون دعوته إلى العرب وحدهم وعلماء الفرق والمقالات والعقيدة يذكرون فرقة من فرق اليهود تدعى العيسوية ويجمعون على أن هذه الفرقة دون فرق اليهود [1]، يعترفون بنبوة محمد ﷺ ولكن إلى العرب وحدهم ونلاحظ أن هذه الفرقة قديمة وليس لها امتداد فى العصر الحاضر فيما نعلم أما ما يتعلق بالنصارى. فإنهم لا يسمون فرقة بعينها كما عند اليهود ولكن يذكرون شبهة بعض النصارى بناءً على الرسائل التى أرسلت من قساوسة النصارى ورهبانهم إلى علماء الإسلام. وفيها يحتج هؤلاء النصارى بآيات من

(١) هناك فرقة أخرى تدعى الموشكانية تقول بمثل ما تقول العيساوية ولكن ليس لها كثير ذكر عند علماء العقيدة والمقالات مما جعلنا نكتفي بالعيساوية لشهرتها من جهة ولأن آراء الموشكانية هي نفس آراء العيساوية - انظر: في الموشكانية الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٣، والملل والنحل جـ ٢.

القرآن، يزعمون أنها تدل على أن رسالة محمد ﷺ كانت إلى العرب فقط دون غيرهم من هذه الرسائل ما أورده «**القرافى**» فى (الأجوبة الفاخرة) و«**ابن تيمية**» فى (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) الذى ألفه للرد على هذه الأسئلة التى وردت له من «**قبرص**».

ونلاحظ أن هذه الشبهات لها امتداد عند بعض النصارى المعاصرين سواء منهم العرب أو غير العرب من المستشرقين، وسوف نعرض شبهة اليهود متمثلة فى فرقة العيسوية، وشبه النصارى متمثلة فى البعض منهم الذين يثيرون هذه الشبهات مجادلين بها علماء الإسلام قديمًا وحديثًا مما يجعلنا نولى اهتمامًا أكبر لشبهات النصارى والرد عليها على اعتبار أنهم يرتبون على شبهاتهم أمورًا تتمثل فى عدم الإيمان بمحمد ﷺ كرسول للعالمين وأيضًا دعوتهم إلى عالمية الملة النصرانية تحت زعم أنها الرسالة العالمية للناس كلهم كبديل عن الإسلام.

* * *

المبحث الأول

شبهة العيسوية من اليهود على عدم عموم بعثته ﷺ والرد عليها

العيسوية من اليهود تنسب إلى رجل يدعى **«أبو عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهانى»** وقيل اسمه **«عوقيد ألوهيم»** أى: عابد الله.

ابتدأ دعوته فى آخر حكم ملوك بنى أمية واتبعه بشر كثير من اليهود وزعموا أن له آيات ومعجزات [(١)]، وزعم هو وأتباعه أن محمدًا وعيسى عليهما السلام نبيان صادقان وأنهما أرسلا إلى قومهما ولم يرسلا بتبديل شريعة موسى [(٢)]. ولا نعلم تفصيلاً لشبهاتهم غير هذا الادعاء فقط فعلى سبيل المثال لم يزد صاحب **«الفرق بين الفرق»** فى عرضه لشبهات العيسوية عن قوله: **«إنهم يقرون بنبوة نبينا محمد ﷺ وبأن كل ما جاء به حق ولكنهم زعموا أنه بعث إلى العرب لا لبنى إسرائيل»** [(٣)]، بهذا الإيجاز تحدث أصحاب الفرق عنهم.

الرد على تلك الشبهة:

تناول علماء الإسلام الرد على دعوى العيسوية وكانت ردودهم تنطلق من اعتراف العيسوية بنبوة محمد ﷺ بداية يقول القاضى عبد الجبار: **«أما الذين قالوا إن محمدًا كان مبعوثًا إلى العرب من دون سواهم فإن الكلام عليهم،**

(١) الملل والنحل للشهرستاني جـ ٢ ص ٤٦ بهامش الفصل لابن حزم الأندلسي.
(٢) التمهيد للباقلاني ص ١٣١ انظر في عرض شبهتهم - المعتمد في أصول الدين ص ١٥٨/ ١٥٩ والقاضي عبد الجبار الأصول الخمسة ص ٥٨٣ وشرح السنوسية ص ٣٧٤.
(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٢/ ١٣.

هو أن نقول لهم: إنه ﷺ إذا ادعى أنه مبعوث إلى الكافة ثم صدقه الله تعالى بالأعلام المعجزة فإنه لابد أن يكون مبعوثًا إلى الأحمر والأسود» [١].

ونفس المنهج سار عليه «الباقلانى» فى التمهيد فقد عقد للرد على العيسوية الذين يزعمون أن محمدًا وعيسى عليهما السلام إنما بعثا إلى قومهما ولم يبعثا بنسخ شريعة موسى عليه السلام يقول: يقال لهم: إذا أوجبتم تصديق محمد وعيسى عليهما السلام فى قولهما إنهما نبيان من عند الله فيجب تصديقهما فى كل ما جاءا به، وما جاء به محمد ﷺ أنه بعث إلى الناس كافة، فإن قالوا نحن لا نكذب محمدًا فيما جاء به وإنما نكذب أمته فى ادعائهم عليه ذلك فالكذب واقع من ناحية الأمة ولم يقع من جهته يقال لهم إذا جاز الكذب على المسلمين فى هذا الخبر الذى يدعونه على محمد ﷺ فلم لا يجوز الكذب فى جميع ما نقلوه عنه وفى نقلهم معجزاته؟ ولم لا يجوز ذلك على اليهود أيضًا، ونقله البلدان والسير وهذا يعود إلى إبطال القول بالأخبار جملة [٢]، وما ذهب إليه «الباقلانى» من باب إلزامهم بالحجة العقلية التى لا يجدون مفرًّا من التسليم بها.

وهذا الإلزام وجدناه عند «الآمدى» فى غاية المرام عند مناقشته للعيسوية يقول: إنه يمتنع عليهم بعد التسليم بصحة رسالته وصدقه فى دعوته إلا الإذعان لكلمته إذ لا سبيل إلى القول بتخصيص بعثته إلى العرب دون غيرهم من الأمم مع ما اشتهر عنه وعلم بالضرورة والنقل

---

(١) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٥٨٣ .

(٢) التمهيد ص ١٤٧/ ١٤٨ بتصرف .

المتواتر من دعوته إلى كلمته طوائف الجبابرة وغيرهم من الأكاسرة وتنفيذه إلى أقاصى البلاد وملوك العباد وقتال من عانده ونزال من جاحده ثم ذلك معتمد على سند الصدر الأول من المسلمين، مع علمنا بأن ذلك الجم الغفير والجمع الكثير ممن لا يتصور عليهم التواطؤ على الباطل عادة ولو لم يكن نبيًّا على العموم لزم أن يكون قد كذب فى دعواه وأبطل فيما أتاه وذلك محال فى حق الأنبياء وحق من ثبت عصمتهم بالمعجزات وقواطع الآيات [١].

وهذه الإلزامات تستند على نقطة التصديق بداية بالنبى ﷺ ثم بناء سائر الأحكام عليها وهنا نلاحظ التناقض من جانب العيسوية المتمثل فى تصديق جانب وتكذيب جانب آخر مع أن الطريق إليهما واحد.

ولذلك يقول شارح السنوسية عمن أقر بنبوة محمد ثم كذب فى كونه رسولا إلى العرب وغيرهم: «**فإقرارهم بنبوته ثم تكذيبه فى أنه رسول لجميع أهل الأرض لا يخفى تناقضه لكل عاقل**» [٢]، وقد صدق فيما قاله عن العيسوية وغيرهم ممن يصدقون كونه ﷺ نبيًّا إلى العرب ويكذبون كونه مبعوثًا إلى كافة الخلق.

* * *

(١) غاية المرام ص ٣٥٩/ ٣٦٠.
(٢) شرح السنوسية ص ٣٧٦ وانظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص ٣٥٧.

المبحث الثانى

شبه النصارى فى إنكار عموم بعثة محمد ﷺ والرد عليهم

إذاكانت فرقة العيسوية من اليهود لم تفصل فى شبهتهم حول عموم بعثة محمد ﷺ قد وجدنا بعض النصارى يثيرون الشبهات ويفصلون فيها ويستدلون بآيات من القرآن الكريم تثبت فى زعمهم خصوصية رسالة النبى ﷺ إلى العرب خاصة.

ووجدنا علماءهم وأحبارهم يراسلون أئمة المسلمين بكتب يعترضون فيها على دعوتهم للإسلام بناءً على زعمهم أن محمدًا ﷺ لم يرسل إليهم من تلك الرسائل ما ذكره «القرافى» فى الأجوبة الفاخرة حيث يقول: «**إن بعض النصارى أنشأ رسالة على لسان النصارى مشيرًا إلى أن غيره هو القائل وأنه هو السائل مشتملة على الاحتجاج بالقرآن على صحة مذهب النصرانية**»[(١)].

ويبدو أن هذه الرسالة نفسها أرسلها النصارى إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وفيها الاحتجاج بالآيات القرآنية التى أوردها النصارى من قبل القرافى.

وهذه الرسائل كانت ترد من «قبرص» وفيها يقول صاحبها بعد أن استدل ببعض الآيات على عدم عموم رسالة النبى ﷺ يقول: «**فلما رأينا هذا علمنا أنه لم يأت إلينا بل إلى جاهلية العرب الذين قال إنهم لم يأتهم رسول ولا نذير من قبله وأنه لا يلزمنا اتباعه لأننا نحن قد أتانا رسل من قبله خاطبونا**

(١) الأجوبة الفاخرة ١١ - ١٢ .

بألسنتنا وأنذرونا بديننا الذى نحن متمسكون به إلى يومنا هذا وسلموا إلينا التوراة والإنجيل بلغتنا على ما يشهد لهم هذا الكتاب الذى أتى به هذا الرجل حيث يقول فى سورة إبراهيم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم :٤]».

وينتهى صاحب الرسالة «القبرصية» إلى أن «**الله عدل وليس من عدله أن يطالب يوم القيامة أمة باتباع إنسان لم يأت إليهم ولا وقفوا على كتاب بلسانهم ولا من جهة داع من قبله**» [(١)].

وهذه الشبهة ظلت تتناقل بين النصارى ووجدنا ترددا لها فى العصر الحديث حيث ذهب بعض النصارى مذهب إخوانهم من قبل، فى قصر بعثة الرسول ﷺ إلى العرب فقط فقد زعم بعضهم: «**أن معجزة محمد الحقيقة هى بخاصة إقامة وحدة عربية تحت سلطان سياسى دينى عربى قومى**» [(٢)]، ويستدل هذا النصرانى العربى بآيات من القرآن الكريم للتدليل على زعمه هى فى مجملها نفس الآيات التى استدل بها علماء النصارى قديمًا فى جدالهم مع المسلمين.

ونفس هذه الشبهة وجدناها تأتى من بعض النصارى العرب المقيمين فى الخارج وفيها يزعم بعضهم أن انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية كان من عمل عمر بن الخطاب الذى يسمونه عمر المستعمر العربى وأن نشر الإسلام خارج جزيرة العرب لم يكن داخلا فى برنامج الدعوة المحمدية لأن محمدا لم يفكر فى دعوة أحد غير العرب إلى الإسلام [(٣)].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ط ١ ص ٣٢١.
(٢) القرآن والمبشرون محمد عزة دروزة ص ٢٦٨ - الناشر المكتب الإسلامي بيروت.
(٣) الإسلام دعوة عالمية للعقاد ص ١٢٧/ ١٢٨ وانظر مجلة الأزهر عدد يوليو ١٩٦١م.

وإذا تركنا النصارى العرب فى الداخل والخارج فإننا نجد كثيرًا من المستشرقين يرددون هذا الادعاء من أمثال «**السير وليم موير**» الذى ذهب إلى أن فكرة عالمية الرسالة قد جاءت فيما بعد وأن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التى تؤيدها. لم يفكر فيها محمد نفسه وعلى فرض أنه فكر فيها. فقد كانت فكرته غامضة فإن عالمه الذى كان يفكر فيه إنما كان بلاد العرب كما أن هذا الدين الجديد لم يهيأ إلا لها وأن محمدًا منذ أن بعث إلى أن مات لم يوجه دعوته إلا للعرب فقط [١].

«**وونسنك**» الذى يزعم أن القرآن ليس فيه ما يدل على أن الإسلام رسالة عالمية وأن محمدًا مبعوث إلى قومه خاصة [٢]، ونستطيع أن نجمل شبه النصارى قديمًا وحديثًا حول خصوصية رسالة محمد ﷺ إلى العرب فقط فى ثلاث شبه:

المطلب الأول:

زعمهم أن رسول الله ﷺ بعث إلى العرب خاصة استنادًا على بعض آيات القرآن الكريم:

يستدل بعض النصارى بآيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى فى سورة الشعراء: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء :٢١٤] ، وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة :٣] ،

(١) انظر: هامش الدعوة إلى الإسلام ص ٥٠ للسير توماس أرنولد .

(٢) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق ص ١٠٢ وهذا الكتاب فيه رصد لكثير من آراء المستشرقين حول الإسلام بوجه عام وآرائهم حول عالمية الإسلام بوجه خاص وفيه تفنيد لمزاعمهم - انظر من ص ٨٩ - ١١٠ نشر المنتدى الإسلامي بلندن ١٤١٤هـ .

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة :٢] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف :٣] ، وبعد أن يستعرضوا هذه الآيات وغيرها يقولون: **«لما رأينا هذا علمنا أنه لم يأت إلينا بل إلى جاهلية العرب الذين قال إنهم لم يأتهم رسول ولانذير من قبله وأنه لا يلزمنا اتباعه لأننا نحن من أتانا رسل ممن قبله»** [(١)] .

الرد على هذه الشبهة:

فى البداية نسأل الذين أثاروا هذه الشبهة هل أنتم مصدقون بأن محمدًا رسول الله أو لا؟ فإن كانوا غير مصدقين نبدأ معهم من إثبات نبوته وقد تحدثنا عنها فى مبحث خاص، وإن كانوا مصدقين ولكن يدعون أن رسالة محمد ﷺ للعرب فقط نقول لهم: العقل، المنطق، ثم النقل والشرع يفرض عليهم أنهم ما داموا صدقوا قول الرسول فى دعوته الخاصة كما يزعمون فيجب عليهم تصديقه فى كل ما يخبر عنه؛ ومن الأمور التى أخبر عنها ودعا الناس إليها أنه رسول رب العالمين إلى الناس كافة.

يقول الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان :١] ، ويقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

هذه الآيات وغيرها الكثير أخبر محمد ﷺ من خلالها أنه رسول الله للناس كافة، إذا فالدليل الذى جعل أصحاب الشبهة السابقة يعتقدون فى نبوته هو نفسه الدليل الذى يلزمهم التصديق ببعثته ﷺ للناس كافة يقرر

(١) انظر هذه الشبهة مفصلة في الأجوبة الفاخرة ص ١١/ ١٢، والجواب الصحيح ج ١ ص ١٢٣ وعالمية الدعوة الإسلامية للعقاد ص ١٢٧/ ١٢٨ .

ذلك «**الباقلانى**» فى كتابه «**الإنصاف**» ويستدل على كونه مبعوثًا إلى كافة الخلق وأن شرعه ناسخ لما قبله من جميع الملل بثبوت نبوته وصدق مقاله وإخباره بجميع ذلك [١]:

فالمدار على ثبوت دعواه، فإذا صدق فيها وهو صادق فلا مجال لتصديق بعض أخباره دون بعض.

يقول «**القرافي**» في «**الأجوبة الفاخرة**»: «**إذا كان النصارى لا يعتقدون أصل الرسالة لا لقومه ولا لغيره فيقولون أوضحوا لنا صدق دعواكم ولا يقولون، كتابكم يقتضى بتخصيص الرسالة؛ وإن كانوا يعتقدون أصل الرسالة لكنها مخصوصة لزمهم التعميم لما تقدم**» [٢]، وهذا إلزام للنصارى وغيرهم ممن يعتقدون خصوصية الرسالة المحمدية.

ونفس الطريقة يسلكها شيخ الإسلام ابن تيمية فى رده على الرسالة القبرصية فهو يذكر أن النصارى إما أن يقروا برسالته إلى العرب أو لا يقروا؟ فإن أقروا بأنه رسول أرسله الله لا يمكن بعد ذلك تكذيبه، بل يجب الإقرار برسالته إلى جميع الخلق، وقد صرح بدعوة أهل الكتاب وبدعوة الجن فى غير موضع.

وإذا لم يقروا برسالته أصلا وقالوا ليس بنبى امتنع مع هذا أن يصدقوا بنبوة غيره فإن الطريق الذى يعلم به نبوة موسى وعيسى يعلم به نبوة محمد ﷺ بطريق الأولى [٣].

---

(١) الإنصاف للباقلاني ص ٦٢ .
(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٢/ ١٣ .
(٣) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٤٤٠، جـ ٢ ص ٢٢ .

وهذا الطرح من جانب علماء الإسلام يقطع شبهات من يدعى أن محمدًا رسالته للعرب فقط. من الناحيتين العقلية، والنقلية، ومع أن هذا كاف فى الرد على بعض النصارى فى شبههم التى أثاروها إلا أننا سوف نتناول الآيات التى استدلوا بها لنبين الوجه الصحيح لتفسيرها وأنها لا تخدم زعمهم، فى قصر دعوته ﷺ على العرب دون غيرهم.

بالنسبة لآية سورة الشعراء: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء :٢١٤].

هذه الآية ليس فيها ما ذهب إليه بعض النصارى فى شبهتهم من أنها تدل على اختصاص الرسول ﷺ بقومه.

وإنما تدل على الآتى:

أولاً: أن النبى أمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه، ويبدأ فى ذلك بمن هو أولى بالبدء ثم يليه؛ وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم.

كما فعل ﷺ حين وقف خطيبا فى حجة الوداع قال: «**ألا إن كل ربا موضوع وأول ما أضعه ربا عمى العباس**»، فبدأ بخاصة أهله ثم بعد ذلك بغيرهم.

ثانيًا: أن الرسول ﷺ أمره ربه أن لا يتعاطف مع ذوى قرابته وأن لا يحابيهم فى الإنذار والتخويف، ومن ثم بدأ بهم ثم ثنى بغيرهم كما ثبت عنه ﷺ حين صعد الصفا فبدأ بذوى قرابته أولاً [١].

ويضيف الرازى فهما آخر للآية إذ يقرر أن الله عز وجل توعد محمدًا ﷺ إن دعا مع الله إلها آخر، ثم أمره بدعوة الأقرب فالأقرب وذلك لأنه

(١) الكشاف للزمخشري جـ ٣ ص ١٢٩.

إذا تشدد على نفسه أولاً ثم الأقرب فالأقرب ثانيًا لم يكن لأحد فيه طعن ألبتة وكان كلامه أجدى وقوله أقنع [١].

وعلى كل الوجوه فإن الآية، لا تدل على أنه لا ينذر غير عشيرته الأقربين ولا تنافى إطلاقًا ما فى القرآن من دعوة سائر الناس إلى الإسلام والتصديق به ﷺ فإن تخصيص بعض العام بالذكر إذا كان له سبب يقتضى التخصيص لم يدل على أن ما سوى المذكور مخالفه. وهذا الذى يسمى مفهوم المخالفة ودليل الخطاب وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء :٣١] ، فإن الله نهاهم عن قتل أولادهم خشية الفقر لأنهم كانوا يفعلون ذلك وقد حرم فى موضع آخر قتل النفس بغير حق سواء كان ولدا أو غيره ولم يكن ذلك مناقضًا لتخصيص الولد بالذكر [٢].

أما قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة :٣] ، وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس :٦] .

يقول «الرازى» عن الآية الأولى: الاستدلال بالآية على كون رسالة محمد ﷺ خاصة إلى قومه من العرب فقط فاسد لوجوه:

أولا: أن التخصيص لا يوجب نفى ما عداه.

الثانى: أن أهل الكتاب قد ضلوا ولم يأتهم نذير من قبل محمد ﷺ بعد ضلالهم، فلزم أن يكون محمد، مرسلا إلى الكل على درجة سواء.

ويذكر ابن تيمية توجيها لفهم الآية الثانية فيذكر أن قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا

(١) التفسير الكبير للرازي جـ ٢٤ ص ١٧٢ .
(٢) الجواب الصحيح ط ص ٣٧٩/ ٣٨٠ .

مَآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس :٦] ليس فيه أنه لا ينذر غيرهم بل لما كان الذى يتلقى الوحى أولاً هم العرب كان التنبيه عليهم بالمنة والهداية أولى وما زال العقلاء فى مخاطبتهم يتكلمون فيما يوجد سببه ويسكتون عما لا يتعين سببه وإن كان المذكور والمسكوت عنه حقين واقعين، فكذلك الرسالة عامة، ولما كان المقصود إظهار فضل العرب على غيرهم خصوا بالذكر، وهذا من أساليب القرآن الكريم كما خاطب بنى إسرائيل، وحدهم فهل هذا معناه أن لا يخاطب غيرهم، وهذا لا يقول به عاقل فلا يغتر جاهل بأن ذكر زيد بالحكم يقتضى نفيه عن عمرو فإن ذلك فى غاية المكابرة والمعاندة، هؤلاء أعظم جهلا وعنادا ممن ينكر أنه كان يأمر بالطهارة، والغسل من الجنابة ويحرم الخمر والخنزير، وأعظم جهلا وعنادًا ممن يذكر ما تواتر من أمر المسيح وموسى عليهما السلام [١].

أما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجمعة :٢-٣]، على خصوصية رسالة محمد ﷺ، إلى العرب فإنه احتجاج باطل لأنه لا يلزم تخصيص الشىء بالذكر نفى ما عداه، ولأنه لو كان رسولاً إلى العرب خاصة، لكان قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ :٢٨] لا يناسب ذلك ولا مجال لهذا لأنهم صدقوا محمد ﷺ. برسالته الخاصة فى زعمهم، فيكون قوله تعالى: ﴿كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ :٢٨] دليلا على أنه عليه الصلاة والسلام، كان رسولاً إلى العالمين.

---

(١) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٣٧٠، جـ ٢ ص ٤٠، ٤١ .

ثم إن تمام الآية يفيد عموم البعثة بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة :٣] عطف على الأميين، يعنى بعث فى آخرين منهم قال المفسرون: هم الأعاجم يعنون بهم غير العرب أى: طائفة كانت، كما قال ابن عباس وغيره [١].

ونسب القرطبى إلى ابن عمر وسعيد بن جبير أنهم العجم [٢].

وبعدها قال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة :٥٤] أى: الفضل الذى أعطاه الله لمحمد وهو اختصاصه بعموم رسالته وهو أن يكون نبى أبناء عصره والعصور التى بعده [٣]، وهذا توجيه طيب فى فهم الآية واستنباط لعالمية الرسالة منها.

وأخيرًا فإن الآيات التى عرضناها وغيرها من التى يستدل بها النصارى زورا على زعمهم ليس لهم ولا لغيرهم حجة فى التمسك بها لأنه ليس فى القرآن آية واحدة تدل أو تشير إلى أن رسالة محمد ﷺ خاصة بالعرب وحدهم وإنما فيه إثبات رسالته إليهم وفيه إرساله إلى الناس جميعا وليس بين هذا تناقض، أى تناقض بين أن يوجه القرآن الخطاب إلى أهل الكتاب وبين أن يوجهه إلى بنى إسرائيل أو بنى آدم، فليس التخصيص فى توجيه الدعوة الإسلامية إلى العرب أو بنى إسرائيل مناف لعموم الرسالة إلى الثقلين جميعا [٤]، ومن العجب أن النصارى يتوقفون عند هذه الآيات

(١) انظر الرازي ص ٢٩ ص ٤/ ٥ .
(٢) القرطبي ص ٩٢٩/ ٩٣٩ .
(٣) الكشاف جـ ٤ ص ١٠٢/ ١٠٣ .
(٤) مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٣٠٨ لمجموعة من العلماء وانظر الجواب الصحيح ص ٤٠/ ٤١/ ٤٢ .

ولا يذكرون غيرها من الآيات التى توجه الخطاب إلى الناس جميعا وتخاطب بنى آدم كلهم [١]، بل ويصرفونها عن معناها المتعارف عليه، إلى معنى آخر غير متعارف عليه وليس مقصودا فى الآية فيقول بعضهم إن المقصود بالناس فى هذه الآيات ناس بيئته ﷺ وليس جميع البشر.

ولكن هذا تمحل متهافت ولا سيما أن هناك آيات مكية فيها تنبيه على أن الرسالة المحمدية هى إنذار، وذكر للعالمين ورحمة لهم منذ العهد المكى [٢].

وكما يقول الأستاذ العقاد: فإذا كانت كلمة الناس تحتمل اللبس فى أذهان هؤلاء لسبب من أسباب التأويل فى اللغة أو فى المنطق فما هو اللبس فى وصف العباد الذين تكرر الخطاب بإنذارهم ودعوتهم إلى الإسلام؟ إننا نذكر من وصف هؤلاء العباد فى الكتاب العربى مثلا وحدًا وهو قوله فى خطاب النبى بالعربية: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [إبراهيم :٣١-٣٢] ، فمن يقرأ وصف هؤلاء العباد الذين سخر لهم البحر وسخر لهم الأنهار وسخر لهم الليل والنهار لا يخطر بباله أبدا أنهم أبناء

(١) على سبيل المثال سورة النساء الآية ١٧٤، الأعراف الآية ١٥٨، وإبراهيم ١ والحج ٤٩، وسورة سبأ الآية ٢٨ .

(٢) القرآن والمبشرون ص ٢٧٣ محمد عزة دروزة . وانظر الآيات المكية الدالة على كون الدعوة لجميع الناس سورة الأنعام الآية ٩٠، يوسف الآية ١٠٤، الأنبياء الآية ١٠٧، والفرقان الآية ١ - وهذه الآيات على سبيل المثال فقط . وإلا فإن سور القرآن الكريم المكية والمدنية مليئة بالآيات التي تتحدث عن عموم رسالته ﷺ وتكليفه بتبليغها للناس .

الجزيرة العربية دون غيرهم من بني الإنسان فى جميع البلدان [١]، أقول إذا كانت كلمة الناس من الممكن أن تصرف عن معناها إلى معنى آخر كما فعل بعض النصارى فماذا عساهم يفعلون فى كلمة عبادى على نحو ما ذكر الأستاذ العقاد؟ ولكن يبدو أن هؤلاء وأشباههم لا ينقصهم الدليل بقدر ما يحتاجون إلى التخلص من الأهواء وحب الدنيا وإيثار منافعهم العاجلة على ما عند الله .

المطلب الثانى:

زعمهم أن الرسول ﷺ جاء بلسان عربى ولم يأت بلسانهم.

ادعى من يقول من النصارى بعدم عموم بعثته ﷺ بآيات من القرآن الكريم وزعموا أنها تدل على ما ذهبوا إليه من عدم مطالبتهم باتباع النبى ﷺ والدخول فى الإسلام .

من تلك الآيات التى استدلوا بها قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف :٣] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم :٤] . وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورى :٧] .

وبعد أن يستدلوا بهذه الآيات يقولون: «**إن الله عدل وليس من عدله أن يطالب يوم القيامة أمة باتباع إنسان لم يأت إليهم ولا وقفوا على كتاب بلسانهم ولا من جهة داع من قبله**» [٢].

---

(١) الإسلام دعوة عالمية ص ١٣١ .

(٢) الجواب الصحيح جـ ١ ص ١٢٣ والأجوبة الفاخرة ص ١١، ١٢ .

والرد على هذه الشبهة يتمثل فى الآتى:

أولا: لله الحكمة البالغة والآيات الباهرة فى نزول القرآن الكريم بلسان عربى مبين، لتميز لسان العرب ولغتهم من سائر الألسن واللغات، بعزوبة اللسان ورطوبة اللفظ، وسهولة المخارج والتعبير عن المعنى الدائر فى الضمير بأوضح عبارة وأصح تفسير [١] ثم إن نزوله باللغة العربية إنعام من الله على عباده لأن اللسان العربى أكمل الألسنة وأحسنها بيانا للمعانى، ولأن القرآن نزل بين العرب فقد خوطبوا به أولا ليفهموه ثم من يعلم لغتهم يفهمه كما فهموه، ثم من لم يعلم لغتهم ترجم له «**أى معانيه**» وكانت إقامة الحجة به على العرب والإنعام به عليهم أولا لمعرفتهم بمعانيه قبل أن يعرفها غيرهم [٢].

والدارس الخبير باللغات غير العربية لا يجد للشىء الواحد من الأسماء ما يعرف فى اللغة العربية ثم إن المعانى الكثيرة يعبر عنها بكلمات قليلة، وكذلك التصرف فى الاستعارات والإشارات ووجوه الاستعمالات البديعة ثم إن الله وصف القرآن بكونه عربيا فى معرض المدح والتعظيم وهذا المطلوب لا يتم إلا إذا ثبت أن لغة العرب أفضل اللغات.

ثانيا: لا حجة للنصارى فى استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم :٤].

لأن الأمر لا يخلو إما أن ينزل القرآن بجميع الألسنة أو بواحد منها؟

---

(١) نهاية الأقدام للشهرستاني ٤٤٧.

(٢) انظر إعجاز القرآن للباقلاني ص ٥٩/ ٦٠ والتفسير الكبير للرازي جـ ٢٧ ص ٩٦/ ٩٧ والجواب الصحيح جـ ٢ ص ٦٩.

ونزوله بجميع الألسنة مستحيل ولا حاجة إليه أصلاً لأن الترجمة تنوب عن ذلك بقى أن ينزل بلسان واحد وأولى الألسنة بالنزول بالقرآن هو اللسان العربى لأن محمدًا نزل فى قومه فإذا فهموه وصدقوا به قامت التراجم ببيانه وتفهمه كما نرى ونشاهد من كفاية الترجمة فى كل أمة من الأمم.

ثم إن الآية تحتمل وجهًا آخر وهو أن يكون المراد فيها أهل بلده، وليس المراد بها أهل دعوته لأن الأدلة قامت على عموم الرسالة [١].

ثالثًا: إن الاستدلال بهذه الآية على قصر الرسالة على العرب استدلال فاسد إذ كيف يريدون أن تكون الدعوة إن كانت عالمية إنسانية كما هو شأن الإسلام؟ إن القائل بذلك يمنع أن توجد فى العالم دعوة عالمية على الإطلاق أو يفترض فيمن كان يرسل بهذه الدعوة أن ينطق بألسنة الناس أجمعين، ثم كيف يسوغ العقل أن يكون صاحب الدعوة خاتم النبيين إذا كانت رسالته مقصورة على قومه؟ وكما يقول العقاد: «**إن ضخامة الخطأ مع سهولة العلم بالصواب خليقة أن تفتح باب الاتهام فى سلامة المقصد قبل الاتهام فى سلامة التفكير**» [٢].

إن الأولى والأقرب إلى الفهم والعقل، والذى قدره الله، وفى الوقت نفسه يتفق مع طبيعة العمر البشرى المحدود أن يبلغ الرسول ﷺ قومه بلسانهم وأن تتم رسالته إلى البشر كافة عن طريق حملة هذه الرسالة إلى البلاد المختلفة. وبالفعل هذا ما حدث ومن ثم فلا تعارض بين رسالته

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١١/ ١٢، والرازي ص ١٩/ ٢٠ ص ٧٩/ ٨٠ وانظر حاشية المواقف جـ ٨ ص ٢٦١ للمولى حسن جلي.
(٢) الإسلام دعوة عالمية للعقاد ص ١٢٩/ ١٣٠/ ١٣١.

للناس كافة ورسالته بلسان قومه فى تقدير الله وواقع الحياة [١].

رابعًا: إن التوراة نزلت باللسان العبرانى والإنجيل الرومى، وقد انتقلت النصرانية من لغتها الأصلية إلى لغات أخرى لم يتكلم بها المسيح عليه السلام ولا يوجد اليوم من أبناء العالم من يقرأ حروفًا ونصوصًا سمعت من السيد المسيح عليه السلام [٢].

وعلى هذا فالنصارى كلهم مخطئون فى اتباعهم التوراة فإن جميع فرقهم لا يعلمون هذا اللسان إلا كما يعلم الروم اللسان العربى بطريق التعليم، وأن يكون القبط وأهل الحبشة وغيرهم ممن يدينون بالنصرانية مخطئون لاتباعهم أحكام التوراة والإنجيل لأنهما لم ينزلا بلغاتهم، ولكن الأمم كلها تتعلم من خلال الترجمة [٣].

والاحتجاج باختلاف اللغة بين الدين وبين من يدعو إليه حجة على النصارى لأن المنصرين يدعون شعوب العالم إلى النصرانية على الرغم من الاختلاف بين اللغة التى تكلم بها المسيح ولغة الذين يدعون إلى النصرانية.

ثم إن النصارى فيهم عرب كثير من زمن النبى ﷺ وكل من يفهم اللسان العربى أمكنه أن يفهم القرآن وإن كان أصل لسانه غير عربى، ثم إن النصارى الذين حاجوا علماء الإسلام، فيهم من ليس عربيا ومع ذلك فهموا آياته واحتجوا بها فكيف يسوغ لهم أن يقولوا كيف تقوم الحجة علينا بكتاب

---

(١) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للراوي ص ١٣١، ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٠٨٧ .
(٢) ما يقال عن السلام للعقاد ص ١٤٨ .
(٣) الأجوبة الفاخرة ص ١٢ .

لم نفهمه؟ وقد دخل كثير من العجم الإسلام وأجادوا لغته وألفوا بها كتبا فى العربية بل إن منهم من ينطق العربية أفضل من العرب [١]، وفى هذا حجة على الذين يقولون: إن القرآن لم ينزل بلغتنا.

خامسًا: أى غرابة فى أن يأتى القرآن الكريم باللغة العربية وتكون هذه اللغة هى لغة الإنسانية، إذ إنه لا يمكن أن يتم الاتحاد بين الناس، وصيرورة الشعوب الكثيرة أمة واحدة إلا بوحدة اللغة، وهذ الأمنية حققها الإسلام بجعل لغة الدين والتشريع والحكم لغة جميع المؤمنين به والخاضعين لشريعته إذ يكون المؤمنون مسوقين باعتقادهم ووجدانهم إلى معرفة لغة كتاب الله وسنة نبيه لفهمها والتعبد بها والاتحاد بإخوتهم فيها ولذلك كرر القرآن بيان كونه كتابا عربيا وحكما عربيا، ولا يظنن ظان أن توحيد لغة البشر خلاف الطبيعة البشرية لأن جمعهم على دين واحد أبعد من توحيد اللغة، ومع ذلك أمر الله الناس جميعًا أن يدخلوا فى دين الإسلام [٢].

ومن المثير للغرابة أن النظم الوضعية كالماركسية قبل سقوطها، يحاول دعاتها أن يعمموها فى العالم كله ونجد شعوبا تدين بالشيوعية ولم يقل أحد إن الشيوعية ليست بألسنتهم وكذلك النظم الوضعية المختلفة التى تدعو الناس إلى الأخذ بها وتطبيقها، على الرغم من اختلاف لغة المنشأ عن لغات الذين يأخذون بها ويطبقونها.

ولنا أن نقول: إن تعلم اللغة العربية لغير العرب داخل فى مفهوم

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٥٢/ ٥٣ .

(٢) الوحي المحمدي - ص ٢٦١/ ٢٦٢، والدعوة الإسلامية دعوة عالمية ص ٦١ .

الاستطاعة وكثيرا ما يكلف الله الإنسان بأمر من الأمور فيه مشقة ولكنه مستطاع ومعظم التكاليف الشرعية داخلة فى هذا الباب فكف النفس عن الشهوات والأهواء فيه مشقة ولكنه مستطاع، وقل ذلك فى أركان الإسلام مثل الصيام، والصلاة والزكاة والحج، ففيه مشقة ولكن إذا استطاع الإنسان الحج فعليه أن يقوم به ولا يجوز لأحد الأصحاء القادرين أن يتعلل بالمشقة اللهم إلا إذا كان من ذوى الأعذار الشرعية، التى تسقط عنهم بعض الواجبات حتى يقدروا عليها.

المطلب الثالث:

زعمهم أن الرسول ﷺ لم ينشر العقيدة الإسلامية خارج الجزيرة العربية وأن الذين قاموا بهذا العمل هم خلفاء النبى:

يزعمون فى هذه الشبهة أن انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية كان من فعل الخلفاء من بعد النبي ﷺ خاصة الخليفة الثانى: عمر بن الخطاب الذى يسمونه عمر المستعمر العربى، ويضيف بعض المستشرقين أن نشر العقيدة الإسلامية لغير العرب لم يكن داخلا فى برنامج الدعوة المحمدية [١].

الرد على هذه الشبهة:

هذه فرية أخرى من مفتريات النصارى على الإسلام كدين خاتم وعلى الرسول ﷺ كمبعوث للعالمين، وإن ما يثير الغرابة حقا أن ينكر هؤلاء ما تواتر لدى الجميع من دعوة النبى ﷺ، الملوك والأمراء سواء فى داخل

(١) انظر هذه الشبهة عند العقاد الإسلام دعوة عالمية ص ١٢٧ وما بعدها وانظر مجلة الأزهر عدد يوليو ١٩٦١ وانظر هامش تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص ٥٠ للسير توماس أرنولد - وانظر رؤية إسلامية للاستشراق د/ أحمد غراب.

الجزيرة أو خارجها، والذى يهمنا فى الرد على هذه الشبهة هو خارج الجريرة العربية حيث كانت تعيش الأديان الأخرى كالنصرانية والمجوسية.

وبيان ذلك:

أن النبى ﷺ بعد صلح الحديبية مع مشركى مكة، واستتباب الأمن فى الداخل أرسل رسله إلى الملوك والأمراء من العرب ومن غيرهم.

١- بعث ﷺ الصحابى الجليل دحية الكلبى إلى قيصر ملك الروم واسمه هرقل، ونص رسالته ﷺ: «**من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن إثم الأريسين عليك**» و﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤]» (١).

وكاد هرقل أن يسلم لولا أنه خاف من أتباعه فنكص على عقبيه ولم يؤمن وقد هلك، ودخل أتباعه فى صراع مع المسلمين انتهى بهزيمة أتباعه وفتح البلاد التى كانت تابعة للرومان مثل الشام ومصر.

٢ - وأرسل رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمى بكتاب إلى كسرى أبرويز ملك الفرس وفيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى آمن بالله ورسوله واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله فإنى أدعوك**

(١) انظر فتح الباري جـ ١ باب: بدء الوحي، وجوامع السيرة لابن حزم ص ٢٩/ ٣٠، ونور اليقين للخضري ص ١٨٨ .

بدعاية الله فإنى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، وإن أبيت فإن إثمَ المجوس عليك» فلما قرأ كتاب النبى شهق وقال: يكتب إلى بهذا الكتاب وهو عبدى، ولما بلغه عليه الصلاة والسلام ذلك قال: «**مزق الله ملكه كل ممزق**» [(١)]، وقد مزق الله ملكه، بأن سلط على كسرى ابنه فقتله واستجيبت دعوة رسول الله ﷺ.

٣ - وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى بكتاب إلى النجاشى ملك الحبشة ويذكر ابن حزم أنه غير النجاشى الذى كان يحكم الحبشة حين هاجر إليها المسلمون [(٢)].

٤- وبعث ﷺ حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس عظيم مصر من جهة قيصر، ونص الكتاب: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإنما عليك إثم القبط. و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءٖ﴾**» [(٣)]، وقد دارت محاورة بين المقوقس وبين حاطب بن أبى بلتعة، انتهت بأن هادن المقوقس رسول الله وبعث له بهدايا وجاريتين؛ إحداهما: مارية القبطية التى تزوجها رسول الله ﷺ وولدت له ابنه إبراهيم.

يقول ابن حزم: «**وأسلم سائر الملوك الذين أرسل إليهم رسول الله ﷺ**،

---

(١) انظر الطبري جـ ٢ ص ٦٥٤/ ٦٥٥ . والخضري ص ١٩٢ .

(٢) جوامع السيرة لابن حزم الأندلسي ص ٣٠ .

(٣) انظر الجواب الصحيح ط ١ ص ٢٩١ في رسائل النبي ﷺ انظر فتح الباري والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٢ ص ٧١٨ طبعة دار الغد العربي، وزاد المعاد جـ٣ ص ٦١/ ٦٢ ومن الكتب الحديثة فقه السيرة للغزالي ص ٣٨٥/ ٣٨٦، ونور اليقين للخضري ص ١٨٨/ ١٩٢ والرحيق المختوم للمباركفوري ص ٢٢٦/ ٣٤٧ والمنهج الحركي للسيرة النبوية جـ ٣ ص ٥٥/ ٥٦ .

حاشا قيصر والمقوقس، وكسرى والنجاشى، وهو غير النجاشى الذى هاجر إليه أصحاب رسول الله، وأما قيصر «هرقل» فهم بالإسلام فغلبه قومه فلم يسلم، وأما المقوقس فقارب وهادن رسول الله ﷺ وأما كسرى فكان أقبح القوم ردا فمزق الله ملكه» [(١)].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء الملوك بالرغم من عدم إسلامهم، لم يتعاونوا على حرب الرسول ﷺ لأن الزمن كان زمن أنانية وتفكك وترف ونعومة فى العيش وغلبة الشهوات ولذلك آثروا مهادنة النبى ﷺ خوفًا على ملكهم على الرغم من معرفتهم بكونه النبى الخاتم المبعوث للعالمين [(٢)].

أفبعد هذه الدلائل كلها والحقائق الدامغة، المتواترة يدعى بعض النصارى أن محمدًا ﷺ لم يفكر فى نشر الدعوة خارج الجزيرة وإنما الذى نشرها خلفاؤه ونكرر مرة أخرى عبارة العقاد المصورة لهدى هؤلاء جميعًا يقول: «**إن ضخامة الخطأ مع سهولة العلم بالصواب خليقة أن تفتح باب الاتهام فى سلامة القصد قبل الاتهام فى سلامة التفكير**» [(٣)].

وقد أصاب العقاد فى عبارته البليغة تلك؛ لأن معظم الذين يثيرون تلك الشبهات، لا ينقصهم التفكير، وإنما الذى يحتاجونه بدايةً سلامة القصد والخروج عن دائرة التعصب الأعمى الذى يسد منافذ التفكير ويحول الإنسان إلى عبد لهواه.

---

(١) انظر جوامع السيرة لابن حزم ص ٣٠ وخاتم النبيين لأبي زهرة ٩٨٩/ ٩٩١ .
(٢) ثورة الإسلام ص ١٠١٣ محمد لطفي جمعة مكتبة النهضة ١٩٥٩م .
(٣) الإسلام دعوة عالمية ص ١٢٧/ ١٢٨ .

أما المستشرقون «كمويـر»، و «بروكلمان» وغيرهم فقد كفانا مؤنة الرد عليهم أحد أبناء جنسهم، ودينهم وهو السير «توماس أرنولد» الذى يقول: لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب بل إن للعالم أجمع نصيبا فيها، ولما لم يكن هناك غير إله واحد كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يدعى إليه الناس كافة ولكى تكون هذه الدعوة عامة، وتحدث أثرها المنشود فى جميع الناس وفى جميع الشعوب نراها تتخذ صورة عملية فى الكتب التى قيل إن محمدًا ﷺ بعث بها فى السنة السادسة من الهجرة إلى عظماء ملوك ذلك العصر [١]، وتدل هذه الكتب دلالة أكثر وضوحًا وأشد صراحة على ما تردد ذكره فى القرآن من مطالبة الناس جميعًا بقبول الإسلام.

ثم يستعرض «أرنولد» الآيات التى تتحدث عن عالمية الدعوة وينتهى إلى أن الرسول ﷺ صرح بكل وضوح وجلاء أن الإسلام ليس مقصورا على الجنس العربى قبل أن يدور بخلد العرب أى شىء يتعلق بحياة الفتح، والغزو بزمن طويل ويؤيد دعوى عموم الرسالة والحق فى المطالبة بأن يستجيب لها جميع الناس أن الإسلام كان الدين السماوى الذى اختاره الله للجنس البشرى كافة ثم أوحى به إليهم من جديد على لسان محمد خاتم النبيين [٢].

ولعل كلام «أرنولد» فيه دحض لآراء وشبه هؤلاء المستشرقين الذين هم من أبعد الناس عن الموضوعية لأنهم حين بحثوا فى قضايا الإسلام لم

(١) انظر تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص ٤٨/ ٤٩/ ٥٠ .
(٢) انظر تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص ٤٨/ ٤٩/ ٥٠ .

يبحثوها من أجل حقائق الإسلام وإنما زاولوا مهنة البحث كلون من ألوان الفكر التاريخى، وهم قد لقنوا من قبل مبادئ وأفكارا خاصة عن الإسلام فهم يبذلون جهدا واسعًا لإقامة الأدلة على صحتها وعلى غير شعور منهم يخطئون الفهم والاستدلال ويحسبون أنهم على شيء [١].

نأتى إلى الجزئية المتعلقة بأن خلفاء النبى ﷺ هم الذين نشروا الدين خارج الجزيرة وأن عمر بن الخطاب بالذات هو الذى نشر الإسلام خارج إطار المدينة كما يزعمون، ولذلك يسمونه بالمستعمر.

وسوف نناقش هذه الجزئية فى النقاط التالية:

أولاً: قبل أن ينتقل النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى، دخل فى صراع مع نصارى الروم تمخض عن غزوتين. أولاهما: غزوة مؤتة وقد فصلت كتب السيرة والسنة أخبارها [٢].

ثانى هذه الغزوات غزوة تبوك سنة تسع للهجرة، فقد خرج المسلمون مع الرسول ﷺ فى تعبئة لم يخرجوا فى مثلها فانطلقوا صوب الشمال حيث تربض جيوش الروم فلما وصلوا إلى تبوك أحس الروم أن هذا الجيش أقوى مما يطيقون لقاءه فاختفوا داخل حدود الشام.

ومكث النبى ﷺ مع جيشه إزاء حدود الشام وقتا يسيرا ولم يفكروا فى اجتيازها لأنهم لم يخرجوا من المدينة مهاجمين [٣].

إذا فمنذ عهد الرسول ﷺ وهناك مناوشات بين النصارى من خارج

---

(١) صور استشراقية ص ٢٩/ ٣٠ د/ عبد الجليل شلبي - نشر مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٨م.

(٢) انظر فتح الباري ص ٧ ص ٥٨٣ باب غزوة مؤتة من أرض الشام.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٢٢ وانظر زاد المعاد جـ ٣ ص ٦/٥.

الجزيرة مع المسلمين وكون الفتوحات لم تتم إلا فى عهد الخلفاء وخاصة عمر بن الخطاب فهذا لا يعنى أن النبى ﷺ لم يفكر فى نشر الإسلام خارج الجزيرة.

ثانيًا: تسمية عمر بالمستعمر يبطله ما كان من أمره مع أهل الشام وفلسطين وما كان من فعل قواده مع النصارى فى البلاد المفتوحة، ولنستدل برجل من بنى جلدة النصارى يحدثنا عما فعله عمر وقواده مع النصارى وهل هذه الأفعال تدخل فى عداد أفعال المستعمرين الغاصبين أم الفاتحين المهتدين العادلين؟؟

يذكر السير «**توماس أرنولد**» أنه لما بلغ الجيش الإسلامى وادى الأردن وعسكر أبو عبيدة فى فحل، كتب الأهالى المسيحيون فى هذه البلاد إلى العرب يقولون: «**يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا أنتم أوفى وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا**»[١].

وبعد أن صالح عمر النصارى فى فلسطين وأعطى لهم الأمن و الأمان، زار عمر الأماكن المقدسة يصحبه البطريق وبينما كان فى كنيسة القيامة وقد حان وقت الصلاة طلب البطريق من عمر أن يصلى هناك ولكنه اعتذر وهو يقول: إنه إن فعل ذلك فإن أتباعه قد يدعون فيما بعد أنه محل لعبادة المسلمين[٢]، هل هذا سلوك مستعمر أم سلوك خليفة عادل يتحسب لما يمكن أن يحدث بعد وفاته؟ وهو بعيد أن يصدر عن أصحابه ولكنه ورع عمر.

(١) انظر تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص ٧٣ .
(٢) تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص ٧٥ .

ونموذج آخر ينقله السير «توماس أرنولد» حين يذكر عن حسن معاملة عمر لرعاياه من أصحاب الديانات الأخرى ما أثر عنه - رضى الله عنه - أنه أمر أن يعطى قوم مجذومون من النصارى من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت، وهو لا ينسى الذميين حتى فى آخر وصاياه إذ عهد فيها إلى من يخلفه مما ينبغى القيام به فى هذا المنصب السامى فقال: «**وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم وألا يكلفوا إلا طاقتهم**» [(١)]، هذا فعل عمر رضى الله عنه مع الذين كانوا تحت ولايته من أهل الذمة.

فماذا فعل زعماء النصارى مع إخوانهم فى الدين بعد أن اختاروا مذهبًا يخالف مذهب الدولة الرومانية؟؟ إن الاضطهاد والتعذيب والإكراه على اعتناق مذهب الدولة كان هو السائد من قبل «**هرقل**» على رعايا دولته من بنى جلدته نقرأ نصا عند «**أرنولد**» يضع أيدينا على هذا الوضع المزرى، الذى عجل بترحاب رعايا الدولة الرومانية بالفاتحين من المسلمين يقول «**أرنولد**» والواقع أن الشعور الذى أثاره هذا الإمبراطور قد بلغ حدا من المرارة مبلغا يبرز الاعتقاد بأنه حتى السواد الأعظم من «**الأرثوذكس**» من رعايا الدولة البيزنطية الذين كانوا يقيمون فى البلاد المفتوحة فى عهد هذا الإمبراطور هم الذين رحبوا بالعرب وقد نظروا إلى الإمبواطور نظرة الكراهية باعتباره خارجا على الدين، وكانوا يخشون أن يأخذ فى اضطهادهم وإرغامهم على القول بوحدة مشيئة المسيح، ومن أجل هذا استقبلوا بالرضى بل بالحماسة هؤلاء السادة الجدد الذين وعدوهم بالتسامح الدينى وأظهروا رغبتهم فى تسوية مركزهم الدينى واستقلالهم القومى لو أنهم استطاعوا أن يخلصوا أنفسهم من الخطر العاجل الذى كان

(١) نفسه ص ٧٥ - وانظر طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ٢٤٦ .

يحدق بهم [١].

وما يذكره «أرنولد» يعبر عن حقائق التاريخ وواقع الأمر لأن «الفتوحات» الإسلامية ما انتشرت هذا الانتشار الواسع إلا بفضل من الله ثم بالروح العالية التى كانت تدفع المسلمين لنشر دين الله، ثم عامل من أهم العوامل على الإطلاق، وهو رغبة شعوب تلك البلاد فى التخلص من حكامهم الرومان فضلا عن الفساد الذى كان يعيش فيه هؤلاء: مما عجل بانتصار المسلمين وهزيمة الدولة الرومانية.

وقد أورد ابن كثير فى البداية والنهاية حوارًا بين هرقل وبعض الروم المنهزمين يقول ابن كثير: حدثنا أبو إسماعيل الترمذى، حدثنا أبو معاوية عن عمرو بن إسحاق قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فوق ناقة عند اللقاء فقال هرقل: وهو على أنطاكية لما قدمت منهزمة الروم ويلكم؟ أخبرونى عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم؟ أليسوا بشرا مثلكم؟ قالوا: بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: نحن أكثر منهم أضعافًا فى كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟

قال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزنى، ونركب الحرام، وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض. قال: أنت صدقتنى [٢].

---

(١) انظر الدعوة إلى الإسلام ص ٧٢ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ٢١، ٢٢ .

هذه طبيعة الفتح الإسلامى فى عهد عمر، ومن بعده وأيضًا هذه طبيعة جيش الرومان كما صوره أحدهم لقائده • وهل يصح كلام من يزعم أن عمر كان مستعمرًا ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف :٥] .

وأخيرًا أسأل الله أن أكون قد وفقت فيما عرضته من نقض دعوى عالمية النصرانية وإثبات عموم البعثة المحمدية سائلاً الله أن يعز دينه وأن ينصر المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

* * *

المصادر والمراجع

أهم المراجع والمصادر

١- (القرآن الكريم).

٢- صحيح البخاري.

٣- صحيح مسلم.

٤- العهدين القديم والجديد.

٥- تفسير العهد الجديد في مجلد واحد - دار الثقافة المسيحية.

٦- علم اللاهوت النظامي دار الثقافة المسيحية.

٧- قاموس الكتاب المقدس - دار الثقافة المسيحية.

- المهندس أحمد عبد الوهاب.

٨- حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر دار وهبة.

٩- المسيح في مصادر العقائد المسيحية دار وهبة.

د/ أحمد غراب.

١٠- رؤية إسلامية للاستشراق - المنتدى الإسلامي لندن سنة ١٤١١هـ أرنولد - السيرتوماس أرنولد.

١١- تاريخ الدعوة إلى الإسلام - ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن وآخرون مكتبة النهضة.

الآمدي - سيف الدين الآمدي.

١٢- غاية المرام في علم الكلام تحقيق حسن محمد عبد اللطيف - نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الأصفهاني - أبو الثناء شمس الدين الأصفهاني.

١٣- مطالع الأنظار. شرح مطالع الأنوار للبيضاوي.

الأطير - حسني يوسف / الأطير.

١٤- عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية دار الأنصار ١٩٨٦.

الألوسي - محمد شكري الألوسي.

١٥- تفسير روح المعاني. دار الطباعة المنيرية بالقاهرة.

الإيجي - عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي.

١٦- المواقف مطبعة السعادة الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧م.

الباقلاني - أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني.

١٧- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به نشر مكتبة الخانجي. ١٩٦٣.

١٨- إعجاز القرآن - دار إحياء العلوم بيروت.

البغدادي - عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي.

١٩- الفرق بين الفرق تحقيق محيي الدين عبد الحميد - الناشر - المكتبة العصرية.

٢٠- إنجيل برنابا - ترجمه من الإنجليزية الدكتور خليل سعادة - الناشر مطبعة صبيح.

٢١- تفسير البيضاوي - البيضاوي.

ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

الحراني.

٢٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح تحقيق د/ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر وآخرين - دار العاصمة الرياض الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

التفتازاني - العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني.

٢٣- شرح العقائد النسفية مطبعة كردستان العلمية ١٣٢٩هـ.

الجويني - أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني.

٢٤- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد تحقيق د/ محمد يوسف موسى - مكتبة الخانجي للنشر.

٢٥- لمع الأدلة في قواعد أهل الملة تحقيق الدكتورة فوقية حسين المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣ - جينبير - شارل جينبير.

٢٦- المسيحية نشأتها وتطورها - ترجمة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود - دار المعارف.

ابن حجر - الحافظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني.

٢٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري - مكتبة الرياض الحديثة.

ابن حزم - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري.

٢٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل - تحقيق الدكتور - عبد الرحمن عميرة د/ محمد إبراهيم نصر الناشر دار عكاظ سنة ١٩٨٢م.

٢٩- جوامع السيرة لابن حزم.

أبو حيان التوحيدي.

٣٠- البحر المحيط نشر دار الفكر بيروت.

الخزرجي _ أبو عبيدة الخزرجي.

٣١- بين الإسلام والمسيحية تحقيق الدكتور محمد عبد الغني شامة الناشر دار وهبة الطبعة الثانية ١٩٧٥م.

الخضري - الشيخ محمد الخضري.

٣٢- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - تحقيق عدنان مولود المغربي مكتبة الغزالي.

دروزه - محمد عزة دروزه.

٣٣- القرآن والمبشرون - المكتب الإسلامي بيروت.

الرازي - الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي.

٣٤- التفسير الكبير. دار الكتب العلمية طهران.

رحمة الله الهندي.

٣٥- إظهار الحق - الناشر رئاسة البحوث العلمية والإفتاء ١٩٩٤ تحقيق الدكتور محمد أحمد ملكاوي.

أبو زهرة - الشيخ محمد أبو زهرة.

٣٦- خاتم النبيين - دار الفكر.

الزمخشرى

٣٧- الكشاف - الناشر مصطفى البابى الحلبى ١٩٧١م.

الزوزنى - أبو عبد الله بن الحسين الزوزنى.

٣٨- شرح المعلقات السبع - المكتبة التجارية الكبرى.

أبو السعود.

٣٩- إرشاد العقل السليم - طباعة الجمعية الأزهرية المالاوية ١٩٢٨م.

سليمان الندوى.

٤٠- الرسالة المحمدية مكتبة الفتح دمشق - الطبعة الثانية ١٩٦٣ م.

٤١- سيد قطب.

في ظلال القرآن - دار الشروق.

٤٢- نحو مجتمع إسلامي - دار الشروق.

السنوسى - أبو عبد الله - السنوسى.

٤٣- شرح السنوسية الكبرى - تحقيق الدكتور عبد الفتاح بركة - دار القلم الكويت.

الشهرستانى - الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى.

٤٤- الملل والنحل بهامش الفصل نشر مكتبة السلام العالمية.

٤٥- نهاية الأقدام في علم الكلام - نشرة ألفرد جيوم - الطهطاوي - المستشار: محمد إسماعيل الطهطاوي.

٤٦- الميزان في مقارنة الأديان.

عبد الجبار - أبو الحسن عبد الجبار أحمد بن عبد الله.

٤٧- شرح الأصول الخمسة - تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان - الناشر مكتبة وهبة.

د/ عبد الجليل شلبى .

٤٨- صور استشراقية - مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٨ م .

عبد الله الترجمان .

٤٩- تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب تحقيق الدكتور عمر وفيق الداعوق دار البشائر الإسلامية .

العقاد - عباس محمود العقاد .

٥٠- الإسلام دعوة عالمية . دار الآداب بيروت .

٥١- مطلع النور - ضمن مجموعة العبقريات - دار الآداب بيروت .

ابن أبى العز - العلامة صدر الدين على بن على بن محمد بن أبى العز الحنفى .

٥٢- شرح الطحاوية تحقيق الشيخ أحمد شاكر . . الناشر الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء .

الغزالى - الإمام أبى حامد الغزالى .

٥٣- الاقتصاد في الاعتقاد - مكتبة الجندي .

الفراء - أبو يعلى الفراء .

٥٤- المعتمد في أصول الدين - تحقيق الدكتور وديع زيدان حداد دار المشرق بيروت .

٥٥- د/ فرج الله عبد البارى أبو عطا الله .

اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام الطبعة الثانية . دار الوفاء القاسمى - محمد جمال الدين القاسمى .

٥٦- محاسن التأويل دار الفكر بيروت.

القرافى - شهاب الدين أحمد بن إدريس المشهور بالقرافى.

٥٧- الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة بهامش الفارق بين المخلوق والخالق.

القرطبى - الإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد أبي بكر فرج الأنصارى.

٥٨- تفسير الجامع لأحكام القرآن.

ابن قيم الجوزية.

٥٩- زاد المعاد - المكتبة التجارية ومطبعتها - القاهرة.

١٤٧ ابن كثير - الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى.

٦٠- البداية والنهاية - الناشر دار الغد العربى.

المباركفورى.

٦١- الرحيق المختوم - دار الوفاء.

د/ محمد أحمد ملكاوى.

٦٢- بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص العهدين الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

مطابع الفرزدق التجارية.

محمد رشيد رضا.

٦٣- تفسير المنار - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦٤- الوحى المحمدى المكتب الإسلامى بيروت الطبعة التاسعة .

الشيخ محمد الغزالى .

٦٥- فقه السيرة - دار الكتب الحديثة .

محمد لطفى جمعة .

٦٦- ثورة الإسلام مكتبة النهضة ١٩٥٩م .

المودودى - أبو الأعلى المودودى .

٦٧- مبادئ الإسلام مؤسسة الرسالة .

الندوى - العلامة أبو الحسن الندوى .

٦٨- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - دار الكتاب العربى بيروت .

الإمام النووي .

٦٩- الهارونى - أبو الحسين بن هارون الهارونى .

٧٠- إثبات نبوة محمد ﷺ تحقيق أحمد إبراهيم الحاج - المكتبة العلمية .

هيم ماكيبى .

٧١- بولس وتحريف المسيحية ترجمة - سميرة عزمى الزين منشورات المعهد الدولى للدراسات الإنسانية - بيروت .

وحيد الدين خان .

٧٢- الإسلام يتحدى - نشر المختار الإسلامى .

وليم إدى

٧٣- الكنز الجليل في تفسير الإنجيل الناشر مجمع كنائس الشرق الأدنى وليم باركلى.

٧٤- تفسير أعمال الرسل - دار الثقافة المسيحية.

د/ يحيى هاشم حسن فرغل.

٧٥- الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية الناشر دار الفكر العربى.

هناك بعض المصادر والمراجع اكتفينا بإيرادها في الهامش.

ا هـ

والحمد لله أولا وأخيرا الذي بنعمته تتم الصالحات.

* * *